عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم وأبانوا عن عجز وفشل وكان ذلك فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ومع ذلك فان الرائي لحجارة الهرم يظن أنه قد استؤصل فاذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وانما سقط بعض جانب منه وحين ماشوهدت المشقة التي يجدونها فى هدم كل حجر سئل مقدم الحجارين فقيل له لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم فأقسم بالله انهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك. (أثري)

﴿ سياحة سفن هدين ﴾

(في أواسط آسيا)

مما امتاز به هذا القرن عن القرون السابقة اكتشاف الاوربيين لما كان مجهولا لديهم من باقي أقاليم المسكونة فتم فيه اكتشاف مجاهل افريقيا ومنابع النيل بفضل مساعدة الحكومة المصرية بمالها وضباطها من عهد ساكن الجنان محمد على باشا الي آخر أيام المرحوم اسماعيل باشا واكتشفت أغلب جهات القطبين الشمالي والجنوبي ولا يزال صدى رحلة الرحالة السويدى الشهير نانسن الذي أقام فى ثلوج القطب الشمالي ثلاث سنوات يرن فى الاذان كما لم يغب عن ذهن القراء حادثة سفر الرحالة الفرنساوي اندري فى منطار للوصول الى هذا القطر وانقطاع أخباره من السنة الماضية للان ولم تزل الارساليات البحرية تتلو احداها الاخري للوصول للقطب الشمال

وكذلك توالت البعثات العلمية لاكتشاف أسهل المسالك في جبال البامير وهندوكوش وما حولها من الهضاب العالية للوصول من اقليم

فرغانه التابع للروسيا الى بلاد الهند جنوبا والصين شرقا وكانت دولة الروسيا أكثر الدول اهتماما بريادة هذه الجهات ومعرفة طرقها ومضايقها الجبلية لما لها فى هذه المنطقة من المصالح التجارية والسياسية خصوصا بعد ان تم لها الاستيلاء على جميع أقاليم تركستان الروسية (١) والتصقت تخومها بحدود الهند الانكليزية وامتدت سيطرتها على بعض بلاد الصين فهي تعمل الآن لبسط نفوذها على اقليم كشغر (٢) وما يليه ولما كان هذا الاقليم يفصله عن فرغانه وخوقاند جبال مرتفعة وهضاب شاهقة كان من مصالحها معرفة أسهل السبل الموصلة لانشاء الطرق المنتظمة الصالحة لمرور الجنود والمدافع للاغارة عليها عند سنوح الفرصة وتحويل تجارتها اليها من الآن ومد الخطوط الحديدية فى المستقبل ولهذه المناسبات رأينا من المفيد لحضرات قراء هذه المجلة أن نأتي لهم على ملخص سياحة الرحالة السويدى (سفن هدين) الذى قضى بأواسط آسيا ثلاث سنوات قامي فى خلالها من المشاق ما كاد يذهب بحياته مما هو مسطور بالتفصيل فى كتابه الذي ترجم حديثاً الي الفرنساوية وطبع فى مطبعة هاشيت بباريس «٣»

سافر المسيو هدين من مدينة ستوكهلم عاصمة بلاده فى ١٦ اكتوبر

(١) راجع مقالة الروسيا فى آسيا المندرجة فى العدد الرابع من الموسوعات

(٢) كشغر مدينة فى غرب الصين على نهير باسمها يصب في نهر يارقند الذى يصب في بحيرة لوب نور يبلغ عدد سكانها ٣٥ ألف نسمة كلهم من المسلمين وكانت عاصمة لامارة اسلامية مستقلة فتحها الصين سنة ١٧٤٥ ميلادية وفى سنة ١٨٧٣ قامت تطالب باستقلالها بزعامة من يدعي يعقوب بك وطردت الصين ثم عادت الي حكمهم ثانية فى سنة ١٨٧٩ بعد أن دافعت دفاعا عظيما

٣ A travers les glaces et les sables de l'Asie Centrale par le Dr. Sven Hedin-Traduit par Ch. Rabot.

سنة ٩٣ الي طاشقند لا بالسكة الحديدية بل عن طريق صحارى الغرغيز لتحقيق بعض مسائل علمية تختص بكيفية تكونها فوصل الي مدينة طاشقند في ٥ دسمبر وفي ٢٥ يناير سنة ٩٤ سافر الى مدينة مرجلان عاصمة التركستان الروسية وبعد ان أقام بها بضع أسابيع لتجهيز مايلزم لحملته من المعدات ومشترى مايكفيها من الدواب قصد جبال الپاميرفي فبراير أى في قلب شتاء هذه البلاد القارس الذى يكثر فيه نزول الثلج وتهب فيه الرياح الباردة فتجمعه وتجعله ركاما في مضايق الجبال فيصعب المرور منها بل ربما سقط الثلج من أعالى الجبال فأباد القافلة بتمامها فوصل الرحالة الي القلعة التي أقامها الروس على الحدود الفاصلة بينهم وبين الانكليز على ارتفاع ٣٦١٠ مترا وسموها قلعة پاميرسكى وهي أعلى قلعة في العالم على مايظن وأقرب قرية اليها تبعد عنها ٤٦٠ كيلومترا ويصلها البريد مرة كل شهر وتقطع الثلوج الاتصال بينها وبين العالم أجمع مدة خمسة شهور كل سنة من منتصف اكتوبر الى منتصف مارس

وكان من أصدق من تبعه في هذه الجهات السحيقة رجل من أتراك هذه الجهات اسمه «اسلام باى» صحبه في جميع رحلاته وشهد له المسيو هدين بالصداقة والامانة

ومما رآه هذا الرحالة في أعالى الپاميربحيرة عظيمة على ارتفاع ٤٠٠٠ متر تسمي قره كل «ومعناها البحيرة السوداء» وشبهها ببحيرة جنيف الشهيرة الا انها منجمدة في أغلب أيام السنة وتحيط بها جبال جرداء تكسوها الثلوج الدائمة وبعد ان أقام بهذه القلعة مدة ثلاثة أسابيع راد في خلالها ماجاورها من الجبال والمضايق سافر في ٧ ابريل سنة ٩٤ قاصدا بلاد الصين فاجتاز الحدود من مضيق يبلغ ارتفاعه ٤٧٣٠ متر وفي ١٧ ابريل سنة ٩٤ ابتدأ في صعود جبل

عال اسمه موزطاغ اطا (٤) يبلغ ارتفاعه ٧٨٠٠ متر فوصل الي ارتفاع ٥٣٣٦ مترا ولم يمكن الصعود الي مافوق ذلك بسبب هبوب زوبعة ثلجية شديدة فقصد مدينة كشغر للاستراحة وأقام بها سبعة أسابيع

وبعد ان شرح الرحالة أهمية هذه المدينة بالنسبة لمركزها الجغرافي والتجاري وتكلم طويلا عن طموح أنظار كل من الروسيا وانجلترا الي بسط نفوذهما عليها قال انه وجد بها ثلاثة من المرسلين المسيحيين أحدهم پولوني الاصل والثاني هولندي والثالث يقال انه كان من مسلمي أرضروم ودخل في الدين المسيحي وأرسل الي هذه الجهات لنشر مذهبه الحديث واعترف المترجم بتمسك أهالي كشغر مثل باقي مسلمي العالم بعري الدين الاسلامي وعجز هؤلاء المرسلين عن تحويلهم عن الدين الحنيفي القويم ثم عاد في ٢١ يونيه سنة ٩٤ الي جبال الپامير لاعادة الكرة على جبل موزطاغ اطا. ولما وجد ان الثلوج لاتسمح له بذلك أخر اتمام مشروعه الى شهر أغسطس وصمم على الاقامة بين ظهراني القبائل النازلة بالقرب من هذا الجبل لدرس أخلاقهم وعوائدهم وقد ذكر في رحلته المذكورة كثيرا من عوائد القوم أهمها مسابقتهم على الجياد لاخذ جثة شاة يذبحونها ويلقونها على بعض مئات من الامتار ثم يهجمون عليها ويجتهد كل منهم في أخذها والفرار بها بغاية السرعة حتى لايدركه اخوانه فيستعيدونها منه قسرا

وقد شهد المترجم مسابقة من هذا النوع احتفل بها اكراما له في ١١ يوليه سنة ٩٤ وفيه هجم أولا على الجثة ثمانون فارسا وبعد ان أخذها أحدهم

(٤) قال المترجم ان موز بلغة القوم معناها الثلج أو الجلد (ومنها بوز بالتركية) وطاغ معناها الجبل واطه معناها الاب اى انه أكبر الجبال الثلجية

بعد عناء شديد ومكافحة كانت أشبه بقتال أتت فرقة أخري راكبة على الحيوان المسمي { ياك } {٥} وأرادت أخذها فردت على الاعقاب وأخيرا فاز بالغنيمة فارس من الفرقة الاولى وأتى عدوا وقدمها الي المسيو سفن

وفي أوائل أغسطس قصد صعود جبل موزطاغ أطافوصل بعد جهد جهيد الى ارتفاع ٦٣٠٠ متر ولم يوقفه عند هذا الحد الا تخلخل الهواء وما كان يقاسيه هو ومن معه من الآلام العصبية في الدماغ وعسر التنفس الناشئين عن ضعف ضغط الهواء بسبب هذا لارتفاع الجسيم

وبعد ذلك عاد الى قلعة الپامير وأقام بها قليلا ثم قصد بحيرة قره كل ليسبر عمقها ولما لم يجد بها مراكب ولم يعثر بالقرب منها على أشجار كبيرة يمكن استعمال أخشابها في بناء سفينة صغيرة أخذ قوائم خيمته وربطها ببعضها ثم شد عليها جلدا وأقام عليها عامودا ربط به قطعة من القماش وركب فيها أولا بمفرده لعدم قبول أحد ممن كان معه لمرافقته ثم رافقوه الواحد بعد الآخر حتي أتم عمله وكاد يغرق في احدي المرات لهبوب ريح شديد

وفي ١٩ اكتوبر عاد الى مدينة كشغر لقضاء فصل الشتاء ترتيب مجموعاته العلمية وكتابة ملاحظاته ورحلته وأقام بها الي ١٧ فبراير سنة ٩٥ وفيه سافر قاصدا استكشاف جزء من صحارى جوبي (٦) معروف باسم (تكلمه مكان)وتحقيق بعض مسائل علمية تختص بهذه الجهة وفي ٢٣ ابريل ابتدأ

---

(٥) حيوان يشبه الثور وله ذيل كذيل الفرس ويوجد بكثرة في جبال آسيا الوسطى ويتحمل البرد كثيرا ويعيش في هواء الجبال العالية المتخلخل ولذلك يستعمل في الحمل في المضايق المرتفعة بدل الخيل والجمال التي لا تصبر على ذلك الهواء الخفيف

(٦) صحراء متسعة في غرب الصين تشبه في أغلب الوجوه صحارى أفريقا الشهيرة الا انها مرتفعة جدا وفي المنطقة الباردة

السير بقافلته فى رمال هذه الصحراء المكونة من تلال رملية متتالية يبلغ ارتفاعها من ١٠ الي ٣٠ مترا لاماء فيها ولانبات ولاطرق معلومة اذ ماينسفه الهواء من الرمال يضيع أثر الاقدام فى وقت قليل وقد قاسي في اجتياز هذه الصحراء ما كاد يذهب بحياته كما ذهب بحياة أغلب من كان معه وبجميع دواب حملته وقد وصف ما كابده من المشقات بعبارة تفتت الاكباد اذ نفد ما كان معه من الماء فماتت دوابه عطشاً ووصلت الحالة به وبرفقاه الي ذبح آخر شاة بقيت معهم لشرب دمها بل الي شرب بولهم مضافا اليه قليل من السكر والخل تلطيفاً لمذاقه ورائحته وأخيراً ترك جميع الآلات الفلكية والفتوغرافية وأغلب مابقى لديهم من المؤونة بعد أن أدرجها فى خيمته حتى اذا نجا من شدته عاد فوجدها ولم يبق معه الا مايلزم له وللباقين من رجاله مدة ثلاثة أيام وبعض النقود والاوراق المهمة

وفي ٣ مايو اي بعد مسيرة عشرة أيام نظر على بعد شجرة صغيرة فعاد اليهم الامل بالقرب من الماء ولما وصل اليها أخذ يفحر في الارض عله يجد ماء فذهب تعبه هباء وفي اليوم التالي لم يبق معه من رجاله الا واحد اسمه كاظم أنهكه التعب حتى صار غير قادر على الوقوف فكان يمشي على أربع وفى هذا اليوم وصلا الي واد ذي زرع الا انهما لم يجدا به ماء فسارا بين الاشجار الى المساء ثم تخلف كاظم وظل سفن يبحث عن الماء الي ان وجد قليلا منه فى منتصف الليل فشرب فى عشر دقائق ماقدره ثلاث لترات ثم ملأ مداسه منها وعاد يبحث عن كاظم فلم يجده الا في الصباح بين الموت والحياة فسقاه ما كان معه من الماء فعادت اليه الحياة ونجا من مخالب الموت